SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.23 NO. 1 2024
DOI: 10.51984/JOHS.V23I1.3052

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences
Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

الإرث الثوري والفكري للشيخ أنتا ديوب

أحميد حمد بوصبع

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا

الملخص

يتناول البحث الرؤية الفكرية للشيخ أنتا ديوب الذي يرى أن أفريقيا هي مهد الإنسانية، و أن كل شيء بدأ في أفريقيا، وأن المصريين والأفارقة ينحدرون من نفس الأسلاف، والحضارة المصرية القديمة كانت في الأساس حضارة زنجية أفريقية؛ ويرجع ذلك إلى الروابط الوثيقة بين لغات غرب أفريقيا الولوف واللغات المصرية القديمة، ويقول أنتا ديوب : إن الحضارة المصرية بالنسبة للأفارقة مثل الحضارة اليونانية بالنسبة للغرب، وأن أصول الحضارة الهيلينية كانت موجودة في أفريقيا السوداء التي أنتجت الفكر والعلم وأثرت على الحركة الفكرية والفلسفية الناشئة في اليونان القديمة، مفنداً بذلك وجهة النظر الغربية التي تذهب إلى أن الغرب هم أصل الحضارة الإنسانية ومنجزاتها البشرية.

الكلمات المفتاحية:

الحضارة
الثقافة
المركزية
المصرية
الزنجية

The revolutionary and intellectual legacy of Sheikh Anta Diop

Ahmaed Hmad Bousbaa

Department of Philosophy, Faculty of Arts, Sebha University, Libya

A B S T R A C T

The research addresses the intellectual vision of Sheikh Anta Diop, who believes that Africa is the cradle of humanity, that everything began in Africa, that Egyptians and Africans descend from the same ancestors, and that the ancient Egyptian civilization was essentially an African Negro civilization. This is due to the close links between the West African Wolof languages and the ancient Egyptian languages. Anta Diop says that Egyptian civilization is for Africans what Greek civilization is for the West, and that the origins of Hellenic civilization were located in Black Africa, which produced thought and science and influenced the emerging intellectual and philosophical movement in Greece. Ancient times, refuting the Western point of view that the West is the origin of human civilization and its human achievements.

Keywords:

Civilization
Culture
Central
Egyptian
Negro

مقدمة:

يتناول هذا البحث الإرث الثوري للشيخ أنتا ديوب، ويسعى إلى تسليط الضوء على مشروعه الفكري المتمثل في البحث عن مرجعية تاريخية حضارية لإفريقيا حيث يرى في الحضارة المصرية القديمة أنها حضارة إفريقية زنجية خالصة سبقت الحضارات الأخرى وأن وجود ذوي البشرة غير السوداء في مصر يرجع إلى عامل الهجرات السكانية وغيرها من العوامل الأخرى المختلفة . وقد مثلت هذه الفكرة إشكالية أساسية في هذه الدراسة، وسعت للبحث في الأسباب التي أدت لرفضها ، والتي ارتبطت بفكرة المركزية الأوروبية ، وإشكالية هذا البحث تطرح التساؤلات التالية :

ماهي العوامل والظروف التي أثرت على فكر أنتا ديوب ؟ وماهي الأدلة التي قدمها ديوب لإثبات أن الحضارة المصرية القديمة حضارة زنجية ؟ وماهي أهم الانتقادات التي وجهت إليه؟

الدراسات السابقة :

تناولت العديد من الدراسات السابقة فكر الشيخ أنتا ديوب ، وركزت على النواحي التاريخية والسياسية والاجتماعية في مسيرته الفكرية، حيث تناولت الباحثة بسمة محمد المرسي في دراستها: (الشيخ أنتا ديوب مسيرة وتاريخ - 2016م)، النشأة والخبرات الشخصية لأنتا ديوب لما لها من دور مهم في تشكيل الإطار الفكري له ، وسعت الباحثة علياء عصام الدين في دراستها: (شيخ أنتا ديوب فرعون المعرفة الذي أعطى للحضارة الإفريقية حقها -

*Corresponding author:
E-mail addresses: aahmaed117@gmail.com

Article History : Received 24 February 2024 - Received in revised form 25 April 2024 - Accepted 30 April 2024

2020م)، إلى تسليط الضوء على أفكاره وفقاً للسياقات التاريخية والاجتماعية المصاحبة لها ، وتناولت الباحثة إيمان عبدالعظيم سيد أحمد في دراستها: (تأثير أنتا ديوب في الواقع الافريقي - 2021م) فكرة الفرعونية في فكره السياسي وأثر تجربته السياسية على المثقفين والزعماء السياسيين المناهضين للغرب في إفريقيا والشتات ، كما أهتم الباحث ناصر كرم رمضان في دراسته: (الشيخ أنتا ديوب: صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة - 2022م)، بالنشأة والسمات والخبرات الشخصية لأنتا ديوب، وكشف عن دور العوامل الاجتماعية في توجيه فكره ، وكان الجانب السياسي هو الغالب في الدراسة ، في حين يركز الباحث في هذه الدراسة على منظور تحليلي فلسفي لمشروع ديوب الفكري مع مراعاة الاهتمام بالجوانب التاريخية والسياسية والاجتماعية.

الإرث الثوري والفكري للشيخ أنتا ديوب :

ولد الشيخ أنتا ديوب (1933م - 1986م) في قرية (كايتو) الصغيرة بالقرب من بلدة (ديوربل) بالسنغال ، لأسرة ارستقراطية مسلمة ، تعود جذورها إلى قبائل (الولوف) التي توجد في غرب إفريقيا : السنغال وموريتانيا وغامبيا تعلم ديوب اللغة العربية والقرآن الكريم في الزوايا الدينية ، وتلقى تعليمه الأساسي باللغة الفرنسية في مدارس المستعمر الفرنسي واصل استكمال تعليمه الجامعي في بلاده السنغال - أقدم مستعمرة فرنسية في إفريقيا - وتحصل على درجة بكالوريوس في علم الفيزياء بتفوق ، ما مكنه من الحصول على منحة دراسية في العاصمة الفرنسية باريس ، جامعة السوربون عام (1946م).[1]

قضى أنتا ديوب فترة طفولته ، ومُراهقته ، وسنوات شبابه الأولى في بلده المُستعمر حيث شكلت مشواراً طويلاً من الألم والمعاناة بسبب ما شاهده من التصرفات العنصرية ، والإهانات المتكررة ضد أبناء شعبه من قبل حكومة المستعمر الفرنسي ؛ و كانت هذه الانتهاكات والتجاوزات المستهدفة لحقوق الإنسان السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأوضاع المعيشية السيئة للسكان المحليين ، من العوامل الرئيسة التي أسهمت في تشكيل الوعي الفكري والثوري لديه وتعزيزهما.

بعد ألتحاقه بالدراسة بجامعة السوربون ، تعرف أنتا ديوب على عدد من الطلبة الأفارقة الناشطين ثقافياً ، ما دفعه للانخراط في حركة الطلاب الأفارقة المناهضة للاستعمار والعنصرية والداعمة للتحرر والاستقلال ، حيث شارك ديوب في تأسيس " جمعية طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي " (1950م) ورسم معالمها من خلال نضاله وكتاباته في جريدة " صوت إفريقيا السوداء " (1952م) الصادرة بساحل العاج ، وعمل على تنظيم أول مؤتمر طلابي لعموم إفريقيا في باريس (1951م) ، كما أسهم في تأسيس "فدرالية طلبة إفريقيا السوداء " (1956م) بفرنسا التي تعد الحركة الطلابية الأفريقية الأكثر نشاطاً .[2]

شددت هذه الجمعية الطلابية على مناهضة المشروع الاستعماري الفرنسي في إفريقيا ومناهضة الإمبريالية الجديدة المتعاونة مع الاستعمار ورفض الاندماج بأوروبا وحرصت على الشخصية الوطنية الإفريقية ، وإرساء دعائم مشاعر التحرر في القارة ؛[3] كما تميزت باتساق الخطاب المعارض للتوجه السياسي للرئيس السينغالي لليوبولد سنغور (1906م - 2001م) الذي كان يتطلع إلى ضرورة الاختلاط الثقافي بين الأفارقة السود و الأوروبيين البيض ، ما يمثل حالة من الوعي الثقافي الجديد يجمع الأسود والأبيض وما يطلق عليه " بالتنوير المتبادل ".[4]

تأثر ديوب أثناء دراسته بكفاح حركات التحرر الوطنية الأفريقية وأطروحاتها التقدمية المناهضة للاستعمار ، والداعية للوحدة الأفريقية التي أثرت في جيله من الشباب المثقفين التقدميين الأفارقة ؛ حيث مثل استقلال غانا عام (1957م) بقيادة كوامي نكروما (1909م - 1972م) ، أبرز دعاة الوحدة الأفريقية منعطفاً تاريخياً ودفعة جديدة لهم في مسيرتهم النضالية . كما تأثر ديوب أيضاً، بالفكر والأدب المقاوم للاستعمار مثل كتابات إيمي سيزار (1913م - 2008م) التي أهمها كتابه خطاب حول الاستعمار (1950م) وكتابات فرانز فانون (1925م - 1961م) وتجربة كفاحه في الجزائر التي أشهرها مؤلفه معذبو الأرض (1961م) حيث بين الكاتبان الطبيعة الوحشية والجانب الماحي للشخصية الإنسانية في النظام الاستعماري.[5]

لم تقتصر دراسة أنتا ديوب على علم الفيزياء النووية فحسب ، بل تعداها لدراسة علوم مختلفة مثل الكيمياء التطبيقية ، والفلسفة ، والتاريخ ، وتحصل فيها جميعاً على درجة الدكتوراه حيث قدم عام (1951م) أطروحته حول التاريخ المصري القديم و تأثيره على الثقافة الأوربية مبيناً أن الحضارة الافريقية كانت مصدر إلهام لأوروبا وسبباً من أسباب إنجازاتها ومفنداً وجهة النظر الذاهبة بالقول بالتفوق الحضاري و الثقافي الأوروبي على الشعوب الإفريقية ؛[6] الذين صورهم المستعمر الأوربي في دعاياته الاستعمارية بأنهم مجموعات من الهمج البرابرة غير المتحضرين و هم أقل مرتبة من الناحية الثقافية من شعوب أوروبا المتحضرة ، وقد رسم العقل الأوروبي آنذاك صورة خيالية ومبهمة عن الأفارقة و حياتهم .[7] حيث توصف بالانغماس في الشهوات الحسية.[8]

تذهب هذه النظرة العنصرية التي رسختها نظرية التسلسل الهرمي العرقي وطورها فلاسفة مثل فريدريش هيجل (1770م - 1831م)، وجوزيف دو غوبينو (1816م - 1882م) إلى تفوق الثقافة و الحضارة الأوروبية عالمياً وتفترض أن إفريقيا ليس لها تاريخ و الرجل الزنجي يمثل الأنسان الطبيعي في حالته الهمجية غير المرضية،[9] و كذلك إيمانويل كانط (1724م - 1804م) في تصنيفه سلم الأجناس البشرية الذي مثل نوعاً من الأنثروبولوجيا العنصرية ، حيث يحتل فيه العرق الأبيض المكانة العليا في مراتب التفوق والذكاء ، مبيناً إلى أنهم أكثر الأعراق البشرية ذكاء ، وتفاعل ، ومقدرة على بناء الحضارة وفهم العالم عقلياً ، في حين يصنف العرق الأصفر في الدرجة الثانية من سلم الأعراق ، ويرى أنهم يمتلكون قابلية للتعليم المجسد وليس للتعليم الفلسفي المجرد ، و يضع كانط العرق الأسود في الدرجة الثالثة ويذهب إلى أنه يمكن تعليمهم بوصفهم خدماً ، ويأتي في الأسفل الهنود الحمر الذين وصفهم بأنهم أسوأ الأجناس البشرية وأقلهم تطوراً ؛ ذكاء ؛ فهم في نظره غير قابلين للتعليم على الإطلاق .[10]

رفضت الجامعة أطروحة الدكتوراه في فلسفة التاريخ المقدمة من أنتا ديوب لكنه ازداد اصراراً على استكمال بحثه العلمي متمسكاً بفكرته القائمة على أن حضارة مصر الفرعونية كانت حضارة إفريقية سوداء ، وقام بنشرها في مؤلف بعنوان (الأمم الزنجية والثقافة) في عام (1955م) ، و قد حظي كتابه باهتمام عالمي واسع وكبير في الاوساط العلمية والثقافية وازداده شهرة

، ليتمكن بعد سنوات من إعادة تقديم أطروحته للجامعة التي عاودت وأجازتها ومنحته درجة الدكتوراه في عام (1960م) تزامناً مع استقلال بلده السنغال .[11]

عاد ديوب إلى بلاده وعين مديراً لمختبر الكربون المشع ، لكنه بالجانب من عمله في البحث العلمي انخرط في العمل السياسي وأنشأ حزباً سياسياً معارضاً للحكومة ، باسم (كتلة الجماهير السنغالية) عام (1961م) ، ونتيجة للتضييق السياسي الذي تعرض له الحزب وقياداته شكل ديوب حزباً سياسياً جديداً ، باسم (الجبهة الوطنية السنغالية) عام (1963م) التي استمرت على نفس النهج والوتيرة السياسية في معارضتها لحكومة ليوبولد سنغور الموالية للمستعمر الفرنسي و قد تم حل الجبهة في نفس العام ، لكن أنتا ديوب لم يتوقف عن نشاطه ونضاله السياسي ، بل استمر في استحداث مكوناً جديداً آخر في عام (1976م) تحت مسمى (التجمع الوطني الديمقراطي) الذي كان يشرف على اصدار مجلة (لغة الولوف) الداعمة للتحدث والكتابة باللغات الإفريقية بدلاً عن لغة المستعمر وعباراته .[12]

لكونه باحثاً ومفكراً أكاديمياً ، تم تعيين ديوب أستاذاً جامعياً في قسم التاريخ بجامعة داكار عام (1980م) ، وطيلة حياته المهنية ومسيرته الفكرية بالغة الثراء أصدر خلالها عدداً من المؤلفات السياسية والفكرية والفلسفية المتنوعة التي منها على سبيل المثال لا الحصر : الأمم الزنجية والثقافة عام (1955م) الأصل الإفريقي للحضارة : أسطورة أم حقيقة (1974م) الوحدة الثقافية لأفريقيا السوداء (1978م) ، ونحو النهضة الأفريقية : مقالات في الثقافة والتنمية الأفريقية (1978م) ، ما مكنه من الفوز بجائزة البحث العلمي من المعهد الثقافي الإفريقي في عام (1982م) .[13]

تعرض أنتا ديوب خلال مسيرته التاريخية للمضايقة السياسية ، والسجن من حكومات بلاده الرافضة لأفكاره الثورية التي تدعو لحرية افريقيا ووحدتها واستقلال قرارها عن إرادة المستعمر الفرنسي ؛ لكن ذلك لم يثنه عن عزمه ويقف عائقاً أمام طموحاته وتطلعاته المستقبلية بل استمر في نضاله الوطني و الدفاع عن رؤيته الفكرية حتى وفاته في فبراير (1986م) .[14]

المشروع الفكري للشيخ أنتا ديوب :

هيمنت الأطروحات الغربية على مجال إنتاج المعرفة واستهلاكها ، وقد تم تحقيق هذه الهيمنة التي اصطلح على تسميتها (بالمركزية الغربية) جزئياً من خلال ما شهده الغرب من نهضة وتقدم في المجالات المختلفة للعلوم الطبيعة ، التي أسهمت في التطور العلمي والابتكار التكنولوجي ، والنهوض بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الغربية كما شكل هذا التقدم العلمي القاعدة الاساسية لظهور سلسلة من العلوم التاريخية التي أصبحت فيما بعد تشكل مجال العلوم الإنسانية .[15]

تجذرت هذه المركزية الغربية منذ نشأة الحضارة اليونانية اللاتينية ؛ حيث يوجد اعتقاد راسخ لدى المفكرين ، والمؤرخين الغرب بأنهم أصل الإنجازات البشرية وتطورها على مر عصور التاريخ ، معتقدين أن معظم المنجزات الحضارية الكبرى ، مصدرها اليونان القديمة وأن ما سبقها لا يعدو كونه مجرد خليطاً من الأساطير والخرافات ممزوجاً بالقيم الأخلاقية النبيلة نتيجة تراكم الخبرة الإنسانية عند كبار السن ، وليس نتيجة التأمل العقلي النظري ؛ وقد صرح بذلك ديوجين اللايرتي (180م - 240م) في مؤلفه (سير مشاهير الفلاسفة ، ومذاهبهم وأقوالهم) بقوله : أن اليونان ليسوا فقط مبدعي الفلسفة ؛ بل هم أصل الجنس البشري كله .[16] ويدعم هذا الرأي عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (1858م- 1917م) " الذي لا يرى للحضارة سوى صورة واحدة هي ما شهده الغرب فقط."[17]

رفض أنتا ديوب المركزية الغربية ، وعمل على استعادة تراث الشعوب الإفريقية من بدايات نشأة الحضارة ، وحذر المفكرين ، والمؤرخين الأفارقة من أنهم إن لم يعيدوا إحياء تراثهم المصري القديم وربطه بالتراث الإفريقي ، فلن يتمكنوا من إنشاء العلوم الإنسانية الإفريقية وأنظمة المعرفة العلمية الأخرى التي يمكن أن تنافس الهيمنة الغربية على القارة وانتقد أية محاولة لكتابة التاريخ الإفريقي لا تشير إلى شرعية علاقته بالتاريخ المصري القديم واعتبرها محاولة غير علمية ؛ حيث ساوى أنتا ديوب مثل هذا المسعى بأية محاولة من قبل المفكرين والمؤرخين الغرب لكتابة تاريخ أوروبا دون الإشارة إلى العصور القديمة اليونانية اللاتينية .[18] وفي هذا السياق يقول : " يمكن لجميع الزنوج اليوم تتبع ثقافتهم بشكل شرعي إلى مصر القديمة وبناء ثقافة حديثة على هذا الأساس ؛ من شأن الاتصال الحديث الديناميكي مع العصور المصرية القديمة أن يمكن السود من اكتشاف العلاقة الحميمة بين كل السود في القارة ."[19]

يثبت من أدلة الدراسات الأنثروبولوجيا ؛ أن المصريين من " الحاميين " يرجع نسبهم إلى " حام بن نوح " أصل السود في إفريقيا ، كما أن المصريين القدماء أطلقوا على بلادهم لفظ (كيميت) بمعنى (الأسود) ؛ لكن أنتا ديوب ينحو إلى أن علماء الأنثروبولوجيا الغربيين خلال القرن التاسع عشر أخفوا الحقائق التي تم الكشف عنها بعد فك طلاسم الكتابة المصرية القديمة التي تبين ارتباط الحضارة المصرية بإفريقيا ، في محاولة تهدف لإبعاد جذور تلك الحضارة عن فضائها الأفريقي ؛ فهو يرى إن إفريقيا كانت مهداً للإنسانية ؛ وأن أصول البشرية بدأت في إفريقيا على امتداد نهر النيل ؛ لأن مصر القديمة حسب رأيه ظلت أقرب إلى إفريقيا في معتقداتها وأساطيرها من تلك الحضارات التي نشأت حول البحر الأبيض المتوسط .[20]

تتوقف علياء عصام الدين عند رأى حمدي عبدالرحمن القائل: "إن إطلاق المصريين القدماء على أرضهم اسم "كيميت"؛ أي "الأرض السوداء" يعتبر أحد أهم الأدلة التي تدعم صدق ما ذهب إليه الشيخ أنتا ديوب، ويوضح عبدالرحمن أن المصريين القدماء قد صوروا مرور الشمس عبر السماوات، حيث يبدأ قارب الشمس صباحه أو صعوده الشرقي على الجانب الأيسر من ربة السماء نوت -التي هي بالتالي في الجنة الجنوبية- على الرغم من موقع مصر إلى الشمال، وهو ما يشير إلى توجه المصري القديم تجاه الجنوب والنظر صوب أرض أجداده."[21]

يذهب أنتا ديوب إلى أن وجهة النظر المؤكدة للأصل الزنجي للمصريين القدماء قد تغيرت تماماً منذ غزو المستعمر الفرنسي لمصر بقيادة نابليون بونابرت (1769م - 1821م) واكتشاف شامبليون لحجر رشيد ، ومن ذلك الحين تبنى علماء الآثار المصرية فكرة أن المصريين كانوا من البيض وليسوا من الأفارقة السود ويرجع أنتا ديوب سبب هذا التحول إلى الإمبريالية الاستعمارية لإخفاء حقائق التاريخ وإظهار المستعمر الغربي بأنه أصل الحضارة والمعرفة وانكار النظرية القديمة التي تبنت فكرة زنجية الحضارة المصرية .[22]

يؤكد أنتا ديوب على عدم انفصال الحضارة المصرية عن محيطها الإفريقي

ويُحاجج بأن أصل الآلهة المصرية ظل مرتبطاً بمنابع النيل ، كما أن كثيراً من المظاهر الاجتماعية تبين الارتباط الوثيق بالثقافة الإفريقية ؛ ويشير إلى أن " هناك إثباتات تؤكد وجود سمات مشتركة بين لغة الولوف المنتشرة في غرب إفريقيا مع اللغة المصرية القديمة ، وهو ما لا يمكن تفسيره بمجرد الصدفة ."[23] وفي هذا الصدد يقول : " ربما تكون لغة الولف ، وهي لغة سنغالية يجري الكلام بها في أقصى غربي إفريقيا على المحيط الأطلنطي ، تشبه كثيراً اللغة المصرية مثلها في ذلك مثل اللغة القبطية ."[24]

بحث ديوب في الكيفية التي مثل بها المصريين القدماء أنفسهم في الفن و مدى ارتباطهم بالفنون الإفريقية المتنوعة ؛ فيلاحظ في " الرسومات المنقوشة على الجداريات ؛ حيث روح الفن واحدة : الملامح ، نظرة العيون ، الصلابة ، الخطوط الألوان إلخ ؛ فإذا ما انتقلنا من فن النحت و الفن التشكيلي إلى فن الموسيقى ، فإن الدارسين المتخصصين لهذا الفن أجمعوا على وجود الكثير من العناصر المتشابهة بين الموسيقى المصرية وموسيقى الشعوب الإفريقية ."[25]

يدعم ديوب فكرته بأن المصريين القدماء كانوا ذوي بشرة سوداء بما ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوت (484ق.م - 425ق.م) الذي أفاد بذلك في زيارته إلى مصر حيث نقل عنه ديوب قوله : إن " لديهم جلود سوداء وشعر مجعد و ... وحدهم بين البشر ، مارس المصريون والإثيوبيون الختان منذ زمن بعيد ."[26] وقد " كان المصريون يمارسون الختان منذ عصور ما قبل التاريخ ، وهم الذين نقلوا هذه الممارسة إلى العالم السامي بصفة عامة اليهود والعرب ."[27]

يتفق عالم الآثار المصرية الفرنسي جاستون ماسبيرو (1846م - 1916م) الذي شغل مدير المصلحة الانتيكخانة المصرية عام (1881م) - مع رؤية أنتا ديوب حيث يذهب إلى " أن هناك نوعاً من التوافق بين المؤرخين القدماء على أن الجنس المصري ينتمي إلى جنس إفريقي ، بمعنى أنهم زنوج استقروا أولاً في إثيوبيا على شواطئ النيل الأوسط في أعقاب مجرى نهر النيل ، ثم نزحوا تدريجياً نحو البحر بمتابعة مجرى النهر ."[28]

يرى ديوب أن أصحاب الحضارة المصرية القديمة ، هم الزنوج القادمون من الجنوب " مميزاً بين سمات سكان الجنوب وسكان الشمال ، فيما يعرف بنظرية المهدين ، والمقصود بها المهد الجنوبي والمهد الشمالي ؛ يتميز المهد الجنوبي بالنظام الأُمومي ، حيث الرعاية والأمان لذلك كثرت فيه أعمال البناء ؛ في حين أن المهد الشمالي نظام أبوي تميز بالعنف والقتال ؛ لذلك كثر اهتمامهم بصنع الأدوات القتالية ؛ وتتوسط المهدين منطقة تسمى منطقة الالتقاء ."[29] وفي هذا السياق يقول ديوب : " يعتمد النظام الاجتماعي في مصر على النظام الأمومي ، شأنه في ذلك شأن بقية إفريقيا السوداء ؛ وعلى النقيض من ذلك لم يتمكن أحد أبداً من إثبات وجود نظام أمومي في العصر الحجري القديم في حوض البحر الأبيض انفرد به أبيض ."[30]

يحسم أنتا ديوب الجدل بما لا يدع مجالاً للشك حول تحديد العرق البشري الذي سكن مصر قديماً من خلال تحديد لون البشرة في ورقة بحثية قدمها في مؤتمر اليونسكو لعام (1974م) حيث يقول : من الممكن " تحديد لون الجلد مباشرةً ومن ثم معرفة إلى أي عرق ينتمي المصريون القدماء من خلال التحليل المجهري في المختبر ."[31]، قد ذكر أنتا ديوب أنه نجح في تطوير اختبار جرعة الميلانين لعينات صغيرة للمومياء المصرية أعطته نتائج علمية ومعملية مكنته من تحديد لون بشرة المصريين القدماء والقول بشكل قاطع أن رمسيس الأول كان فرعون أسود.[32]

يجادل ديوب إلى أن المعرفة التي يزعم الغرب أن مصدرها الحضارة الإغريقية قد تعلمها الإغريق القاطنين في شمال إفريقيا من الحضارة المصرية ونقلوها إلى اليونان ؛ فالحضارة اليونانية بحسب رأيه قد اعتمدت في كثير من مقوماتها على الحضارة المصرية القديمة ، وأن الإغريق أنفسهم رأوا أن حضارتهم كانت مجرد بناء على العلوم التي تلقوها من مصر .[33] حيث يقول : أن " مصر هي الأم البعيدة للثقافات والعلوم الغربية ، ... فإن معظم الأفكار التي نسميها أجنبية في كثير من الأحيان لا شيء سوى الصور المختلطة ، و المعكوسة والمعدلة والمفصلة لإبداعات أسلافنا الأفارقة ، مثل اليهودية والمسيحية والإسلام ، والديالكتيك ، ونظرية الوجود ، والعلوم الدقيقة ، والحساب ، والهندسة ، وعلم الفلك ، والطب ، والأدب ... لا يوجد فكر ، ولا أيديولوجية ، في جوهرها غريبة عن إفريقيا ."[34]

يؤيد موليفي أسانتي- أستاذ الدراسات الإفريقية والأفروأمريكية بجامعة تيمبل في فيلاديفيا بالولايات المتحدة الأمريكية - الرؤية الفكرية لأنتا ديوب ويدعو إلى مركزية إفريقية معارضة للمركزية الأوروبية، " وأنه يجب النظر للعالم من عدسة زنجية خالصة، وأن كل العلوم الغربية الحالية مصدرها "كيميت" (مصر القديمة) التي يزعم بأنها هي الأخرى " أُمة إفريقية سوداء" سرقت منها أثينا القديمة ثقافتها وأفكارها ونسبتها إلى الحضارة الأوروبية، وفي ذلك يرى أسانتي أن حركة التاريخ البشري والحضارة تبدأ من الأهرامات في مصر القديمة التي يزعم بأن من شيدها هم الزنوج كمعمل كبير للمعرفة بمختلف أنواعها."[35]

يتفق روجيه غارودي (1913م-2012م) مع أنتا ديوب و موليفي أسانتي في أن الحضارة الغربية استمدت جذورها من الحضارة المصرية القديمة، وفي هذا السياق يقول:"وثمة ينبوع آخر لحضارتنا تجد جذوره في مصر ، لقد كان الفلاسفة والمؤرخون اليونان يعجبون بمصر إعجاباً عظيماً، وتدين آراء أفلاطون الثنائية لها بالشيء الكثير، لقد كان أفلاطون يحلم بدولة ذات استقرار سياسي، بينما كان يعيش في ظل ديمقراطية تحفل بالحركة، وكانت مصر أنموذجه، وقد ألهمت مصر الحضارة الإغريقية أيما إلهام."[36]

يؤكد أنتا ديوب على أن الأفارقة السود هم أصل الحضارة الانسانية وقد كان لهم الفضل الكبير في ازدهار الحضارة الغربية ، وتطورها في شتى مجالات الحياة حيث يقول : " فإن هذا العالم الأسود هو البادئ ذاته للحضارة الغربية التي تتباهى أمام أعيننا اليوم . إن رياضيات فيثاغورس ، ونظرية العناصر الأربعة لتاليس ميليتس ، والمادية الأبيقورية ، والمثالية الأفلاطونية ، واليهودية ، والإسلام ، والعلوم الحديثة متجذرة في نشأة الكون ، والعلوم المصرية ."[37]

وبخلاف القيمة الفكرية لآراء الشيخ أنتا ديوب ، إلى أنه تعرض للنقد من قبل الباحثين في مشروعه الفكري و أهم ما وجه له ، وقوعه في فخ العنصرية التي سعى جاهداً لمحاربتها بالنقد المتكرر للمركزية الغربية ، لكنه أسس لمركزية أفريقية مضادة تعلي من شأن العرق الأسود مقابل الأعراق الأخرى أو ما يفهم بأنه (عنصرية في مواجهة عنصرية أخرى) على رأي جان بول سارتر (1905م - 1980م) في نقده لحركة الزنوجة ؛ كما انتقد ديوب أيضاً , في اعتماده على كتابات الرحالة والمؤرخ هيرودوت حول أفريقيا ، وهي نفس الكتابات التي أعتمد عليها هيجل في آرائه ، واعتمد عليها كانط في تصنيفه سلم الأجناس البشرية ، حيث لم تسلم آراؤها من المغالطات أو الذاتية ، كما

إن ديوب أعتمد في فكرته أيضـاً على حكم الزنوج مصـر وما يراه الباحثون والنقاد أن ذلك كان في عصـور ومراحل متقدمة من التاريخ المصـري ، أي بعد قيام الحضـارة المصـرية القديمة بآلاف السـنين .[38] أيضـاً نقد ديوب في اعتقاده أن الحضارة المصرية كانت مسؤولة عن المنجزات الثقافية المنسوبة بشـكل خاطئ إلى الثقافات الأخرى حيث يذهب إلى أن معظم النظريات الفكرية والفلسفية التي نسمها أجنبية ليست في كثير من الأحيان سوى صور معكوسة ومعدلة لإبداعات الأفارقة السود .

ارتباطاً بما سـبق ، حاول أنتا ديوب أن يثبت تفوق التاريخ و الثقافة الإفريقية على نظيريهما في أوروبا ؛ محاولًا كشـف التوظيف السـياسي للتاريخ الذي لجأ إليه المسـتعمر الغربي ؛ لتشـويه الثقافة الإفريقية وخلق عقدة الدونيـة للسـيطرة على الشـعوب الإفريقيـة ، وهو بـذلـك يرفض نظريـة الاسـتيعاب التدريجي التي يطبقها الاسـتعمار الغربي وخصـوصـاً المسـتعمر الفرنسـي في القارة بغية اسـتيعاب النخب الإفريقية المثقفة في ثقافته ، كما رفض ما يطلق عليه اصـطلاحاً " بعالمية الثقافة " والدعوة إلى الاندماج مع الحضارة العالمية ؛ حيث يرى أن كل أمة لها خصوصيتها وثقافتها.[39]

الخاتمة :

نخلص إلى القول بأن الشـيخ أنتا ديوب لم يكن عالماً نخبوياً منفصـلاً عن واقعه الاجتماعي والسـياسـي بل كان مفكراً اصـيلاً مهتماً بقضـايا مجتمعه وقضـايا القارة الإفريقية، متأثراً بالفكر التحرري الإفريقي وداعياً لوحدة القارة ومناهضـة الاسـتعمار، و عمل على اسـتعادة تراث الشـعوب الإفريقية من بدايات نشأة الحضارة ، وقد ركز في مشروعه الفكري على عنصر المقارنة بين الشـعب المصـري ، والشـعوب الأفريقية ؛ ليتبين له حجم التشـابه الثقافي الكبير في العادات والتقاليد مثل : النظام الأمومي والختان ، والتشـابه الفني ، واللغوي معتمـداً على آراء المؤرخين الـذين سـبقوه من أمثـال الرحـالـة هيرودوت ؛ ليؤكد فكرته بأن الزنوج هم من بنوا الحضـارة المصـرية القديمة التي عمت إفريقيا واعتمدت عليها الحضـارة اليونانية في كثير من مقوماتها، منتقداً بذلك المركزية الغربية وخطابها الكولونيالي الثقافي، و دحض الإدعاء العنصـري الذي سـاد ردحاً طويلاً من الزمن بأن الفلسـفة هي نتاج غربي محض لا ينازعه فيها أحد ، و وضع الأفارقة في خانة التخلف.

الهوامش:

[1]- علياء عصـام الدين ، شـيخ أنتا ديوب فرعون المعرفة الذي أعطى للحضارة الإفريقية حقها افريقيا قوية متحدة ، 1 يناير 2020 .

[2]- د. كمال بيرم، دور الحركات الطلابية الافريقية والنخب الأفريقية في حركة تحرير إفريقيا مسـاهمة تاريخية ، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 04 ، سبتمبر 2017، ص 187 - 188.

[3]- نفس المرجع , ص 187 - 188.

[4]- إيمان عبدالعظيم سـيد أحمد ، تأثير الشـيخ أنتا جوب في الواقع الافريقي متابعات إفريقية العدد (14) ، مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 2021م ، ص 71.

[5]- أنيا لومبا ، في نظرية الاسـتعمار و ما بعد الاسـتعمار الأدبية ، ترجمة محمد عبدالغني غنوم , دار الحوار للنشـر والتوزيع ، سـوريا اللاذقية ، الطبعة الأولى 2007، ص 37.

[6]- فريدة البنداري ، الشـيخ أنتا ديوب ، السـياسـي دوت كوم ، 7 يوليو 2012 .

[7]- Africa , London 1949 , p9 Bart Lett , Struggle for.

[8]- انيا لومبا ، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الادبية ، ص 214 .

[9]- صـموئيل هنتنغتون ، صـدام الحضـارات ، ترجمة مالك بوشـهيوة و محمود خلف دار الجماهيرية للنشـر والتوزيع و الاعلان ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1999 م ص 109 .

[10]- علي أسـعـد وطفـة , مـأزق كـانـط الاخلاقي , الحوار المتمـدن , 7 أبريل2023 .

[11]- فريدة البنداري ، الشـيخ أنتا ديوب ، السـياسـي دوت كوم ، 7 يوليو 2012 .

[12]- ناصر كرم رمضان ، شيخ أنتا ديوب : صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة (1 - 2) ، قراءات افريقية ، 28 أبريل 2022.

[13]- إيمان عبدالعظيم سـيد أحمد ، تأثير الشـيخ أنت جوب في الواقع الافريقي متابعات افريقية العدد (14) ، مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الاسلامية ص 66 - 68 .

[14]- إيمان عبدالعظيم سـيد أحمد ، تأثير الشـيخ أنت جوب في الواقع الافريقي متابعات افريقية العدد (14) ، مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الاسلامية ص 70.

[15]- ناصر كرم رمضان ، شيخ أنتا ديوب : صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة (1 - 2) ، قراءات افريقية ، 28 ، أبريل , 2022 .

[16]- مصـطفى النشـار ، المركزية الغربية : نشـأتها التاريخية و خلفياتها الإيديولوجية مجلة الاستغراب ، العدد 29 ، السنة : شتاء 2023م / 1444هـ .

[17]- خيرة مطاي ، التحرر القومي بوصـفـه فعلا ثقـافيـا، فسـحـة، 2022/05/29

[18]- ناصر كرم رمضان ، شيخ أنتا ديوب : صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة (1 - 2) ، قراءات افريقية ، 28، أبريل , 2022 .

[19]- African Origin of Civilization : Myth or Reality ? Reality By Cheikh Anta Diop , Edited by Mercer Cook . p : 140

[20]- ياسر سلطان ، الاحتفاء بنظرية العالم السنغالي أنتا ديوب حول الأثر الفرعوني التاريخي اندبندنت عربية ، الاثنين 16 مايو 2022 .

[21]- علياء عصـام الدين ، شـيخ أنتا ديوب فرعون المعرفة الذي أعطى للحضارة الإفريقية حقها، افريقيا قوية متحدة ، 1 يناير 2020 .

[22]- د. وليد عتلم ، مصـر الإفريقية التي لا نعرفها ، مجلة الدراسـات الدولية 12 فبراير 2023 .

[23]- ياسر سلطان ، الاحتفاء بنظرية العالم السنغالي أنتا ديوب حول الأثر الفرعوني التاريخي اندبندنت عربية ، الاثنين 16 مايو 2022 .

[24]- تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثاني ، حضـارات إفريقيا القديمة ، المشرف د.جمال مختار جن أفريك / اليونسكو , 1995 , ص 62 .

[25]- طلعت رضوان ، العلاقة بين الحضارية المصرية و أفريقيا ، الحوار المتمدن 23 أبريل 2013 .

[26]- شيخ أنتا ديوب ، الاصول الزنجية للحضارة المصرية ، ترجمة : حليم طوسون ، دار العالم الثالث ، القاهرة ، 1995 ، الطبعة الاولى ، ص 157 .

[27]- نفس المصدر ، ص 157 .

[28]- د. وليد عتلم ، مصر الإفريقية التي لا نعرفها ، مجلة الدراسات الدولية 12 فبراير 2023.

[29]- دعاء عبدالنبي حامد ، الافروسنتريك و الأصول الزنجية للحضارة المصرية المحطة 30 أبريل 2023 .

[30]- شيخ أنتا ديوب ، الأصول الزنجية للحضارة المصرية ، ص 164 .

[31]- ناصر كرم رمضان ، شيخ أنتا ديوب : صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة (1 - 2) ، قراءات افريقية ، 28، أبريل , 2022 .

[32]- ناصر كرم رمضان ، شيخ أنتا ديوب : صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة (1 - 2) .

[33]- ياسر سلطان ، الاحتفاء بنظرية العالم السنغالي أنتا ديوب حول الأثر الفرعوني التاريخي اندبندنت عربية ، الاثنين 16 مايو 2022 .

[34]- Authentic Diop , Cheikh Anta, Civilization or Barbarism: An Anthropology , translated from the French by Yaa - Lengi Meema Ngemi edited by Harold J . Salemson and Marjolijn de Jager , Lawrence Hill 1991 p : 3 - 4

[35]- ربيع أبو زامل، "المركزية الإفريقية" في الفكر السياسي ل"موليفي كيتي أسانتي"، قراءات إفريقية، 2023/07/27م

[36]- روجيه غارودي: حوار الحضارات، ترجمة: د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت- باريس، الطبعة الثالثة 1986م، ص 19.

[37]- African Origin of Civilization : Myth or Reality? Reality By Cheikh Anta Diop , Edited by Mercer Cook . p : 14

[38]- دعاء عبدالنبي حامد ، الافروسنتريك و الأصول الزنجية للحضارة المصرية ، المحطة 30 أبريل 2023 .

[39]- ناصر كرم رمضان ، شيخ أنتا ديوب : صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة (1 - 2) ، قراءات افريقية ، 28، أبريل , 2022 .

قائمة المراجع:

[1]- African Origin of Civilization : Myth or Reality ? Reality By Cheikh Anta Diop , Edited by Mercer Cook . p : 140

[2]- African Origin of Civilization : Myth or Reality? Reality By Cheikh Anta Diop , Edited by Mercer Cook . p : 14

[3]- Africa , London 1949 , p9 Bart Lett , Struggle for.

[4]- Authentic Diop , Cheikh Anta, Civilization or Barbarism: An Anthropology , translated from the French by Yaa - Lengi Meema Ngemi edited by Harold J . Salemson and Marjolijn de Jager , Lawrence Hill 1991 p : 3 - 4

[5]- أنيا لومبا ، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ، ترجمة محمد عبدالغني غنوم , دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا اللاذقية ، الطبعة الأولى 2007.

[6]- إيمان عبدالعظيم سيد أحمد ، تأثير الشيخ أنتا جوب في الواقع الافريقي متابعات إفريقية العدد (14) ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 2021م.

[7]- تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثاني ، حضارات إفريقيا القديمة ، المشرف د.جمال مختار جن أفريك / اليونسكو , 1995.

[8]- خيرة مطاي ، التحرر القومي بوصفه فعلا ثقافيا، فسحة، 2022/05/29

[9]- د. كمال بيرم، دور الحركات الطلابية الافريقية والنخب الأفريقية في حركة تحرير إفريقيا مساهمة تاريخية ، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 04 ، سبتمبر 2017.

[10]- د. وليد عتلم ، مصر الإفريقية التي لا نعرفها ، مجلة الدراسات الدولية 12 فبراير 2023 .

[11]- د. وليد عتلم ، مصر الإفريقية التي لا نعرفها ، مجلة الدراسات الدولية 12 فبراير 2023.

[12]- دعاء عبدالنبي حامد ، الافروسنتريك و الأصول الزنجية للحضارة المصرية المحطة 30 أبريل 2023 .

[13]- ربيع أبو زامل، "المركزية الإفريقية" في الفكر السياسي ل"موليفي كيتي أسانتي"، قراءات إفريقية، 2023/07/27م

[14]- روجيه غارودي: حوار الحضارات، ترجمة: د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت- باريس، الطبعة الثالثة 1986م.

[15]- شيخ أنتا ديوب ، الاصول الزنجية للحضارة المصرية ، ترجمة : حليم طوسون ، دار العالم الثالث ، القاهرة ، 1995 ، الطبعة الاولى.

[16]- صموئيل هنتنغتون ، صدام الحضارات ، ترجمة مالك بوشهيوة و محمود خلف دار الجماهيرية للنشر والتوزيع و الاعلان ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1999 م.

[17]- طلعت رضوان ، العلاقة بين الحضارية المصرية و أفريقيا ، الحوار المتمدن 23 أبريل 2013 .

[18]- علي أسعد وطفة , مأزق كانط الاخلاقي , الحوار المتمدن , 7 أبريل2023 .

[19]- علياء عصام الدين ، شيخ أنتا ديوب فرعون المعرفة الذي أعطى للحضارة الإفريقية حقها، افريقيا قوية متحدة ، 1 يناير 2020 .

[20]- علياء عصام الدين ، شيخ أنتا ديوب فرعون المعرفة الذي أعطى للحضارة الإفريقية حقها افريقيا قوية متحدة ، 1 يناير 2020 .

[21]- فريدة البنداري ، الشيخ أنتا ديوب ، السياسي دوت كوم ، 7 يوليو 2012 .

[22]- مصطفى النشار ، المركزية الغربية : نشأتها التاريخية و خلفياتها الإيديولوجية مجلة الاستغراب ، العدد 29 ، السنة : شتاء 2023م / 1444هـ .

[23]- ناصر كرم رمضان ، شيخ أنتا ديوب : صاحب نظرية الأصل الإفريقي للحضارة (1 - 2) ، قراءات افريقية ، 28 أبريل 2022.

[24]- ياسر سلطان ، الاحتفاء بنظرية العالم السنغالي أنتا ديوب حول الأثر الفرعوني التاريخي اندبندنت عربية ، الاثنين 16 مايو 2022 .